الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

الغنوصية
في
ميزان الفكر الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ — ١٩٩٣ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذى جعل الإسلام دين الإنسانية، وأنزل القرآن الكريم هادياً إلى الصراط المستقيم .

والصلاة والسلام ، على رسول الله محمد، المرسل رحمة وهداية للناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بالإسلام إلى يوم الدين .

أما بعد ...

فإن الغنوصية مذهب دعت إليه عوامل انحراف الإنسان عن الطريق السوى ، ودعت إليه كذلك عوامل غفلة الإنسان عن هداية وحى السماء .

والغنوصية لها جذور تمتد إلى عقائد وثنية قديمة ، وقد أصبحت فى ظل تحركات سرية معوقاً يقف أمام امتداد وحى السماء . .

لقد استطاعت الغنوصية ، كتيار خفى، أن تتعلق بعقائد كثيرة ، فى ظل غفلة العقل وجموده . . وتعلق الغنوصية بالعقائد ليس من قبيل الإتباع ، وإنما من قبيل الإبتداع ، حتى تنحرف بالعقائد السليمة إلى « اللامعقول » .

وكثير من الآراء والمذاهب التى ترمى إلى المجهول، والأسرار ،

والغموض ، تتصل بالغنوصية وتياراتها المختلفة ، ومظاهرها المتعددة ..

لقد جاء الإسلام الحنيف وهو يتغيا الإنسان ، ليأخذ به إلى الطريق السليم الذى رسم منهجه وحى الله . .

ولما كانت الغنوصية تياراً باطنياً لايطفو على السطح بسهولة، فإنها وجدت فى الإسلام عوامل القضاء عليها ، ولذا أعلنت الحرب على الإسلام . واندست بين المسلمين ، فى ركاب أفكار روج لها العملاء ، .

وقد كان المسلمون على مستوى المسئولية،حين قاوموا هذه التيارات، وتنبهوا لها فى وعى كامل .

ولم ينشأ علم الكلام الإسلامى إلا لمواجهة هذا التيار اللاعقلانى .

كذلك لم يترجم المسلمون العقلية اليونانية إلا لمواجهة هذا التيار الباطنى الرهيب . .

وقد قرأت نصوصاً للمستشرق الألمانى « كارل هيزش » وجدت فيها إشارات إلى الغنوصية وخطرها على العقائد الصحيحة .

هذه النصوص دفعت بى إلى البحث والدراسة لمعرفة جذور الغنوصية، ومواجهة الإسلام لها . .

وقد وجدت : أنه كلما ابتعد الناس عن العقل والمعقولية كلما كان وقوعهم فى شباك الغنوصية أقرب .

وكلما تعقل المتعقلون ، وجعلوا العقل رائداً لهم ، كلما كان ذلك أسلم طريقاً ، يبعد بالناس عن خيوط الغنوصية . .

إن هذه الدراسة التى أقدمها للفكر الإسلامى، هى بداية فى الطريق . تنبهنا إلى ظواهر تعنى بالشكل، لننصرف عن الجوهر وننشغل بأمور تبعد بنا عن واقع الحياة .

فهل نتنبه ونعى ؛ ونستيقظ؟

الدكتور /أحمد عبد الرحيم السايح

الغنوصية

الغنوص أو الغنوسيس ، كلمة يونانية الأصل ، ومعناها : المعرفة. غير أنها أخذت بعد ذلك معنى اصطلاحياً ، هو التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا ، أو هو تذوق تلك المعارف تذوقاً مباشراً ، بأن تلقى في النفس إلقاء ، فلا تستند على الاستدلال أو البرهنة العقلية[1] .

وسميت الغنوصية بهذا الاسم ، لأن شعارها : بداية الكمال هي معرفة غنوص الإنسان . أما معرفة الله ، فهي الغاية والنهاية[2].

واهتمام الغنوصيين إنما هو بالكمال .. ويمكن بلوغ الكمال بواسطة الغنوص « العرفان » المعرفة .

والعرفانيون في الأصل . نفر استحوذ القلق عليهم ، في بيئة كانوا فيها قلة ، ثم ساورهم الشك في حياتهم الفكرية ، بالإضافة إلى النظم العالمية ، التي كانت سائدة في زمانهم ، فغلب عليهم التدين ، ورفضوا سلطة العقل ، ثم زعموا أن إدراكهم للأمور مستمد من معرفة يتلقونها من العالم الإلهي ، بطريق باطنية ، خصوا بها دون سائر الناس[3] .

والغنوص يتم بوصفة عرفاناً بالإنسان ، وهذا العرفان يفضي إلى عرفان الله ، والعرفان بالله . هو المؤدى إلى النجاة أو الخلاص . لأن الله هو الإنسان ..

ولهذا فإن أساس الغنوص هو معرفة الإنسان بنفسه ، بوصفة إلهاً ، وهذه المعرفة تؤدي إلى نجاة الإنسان .

وقد تنوعت اتجاهات أصحاب هذه النزعة .. لكن اعتبار الخصائص التالية ، مميزة لها جميعاً :

١ — الخلاص أو النجاة . بوصفه معرفة الإنسان بذاته . وفيها تتحد الذات مع الألوهية اتحاداً جوهرياً .

٢ — الثنوية الدقيقة .

٣ — تجلى الألوهية من خلال صاحب وحى أو مخلص[٤] .

وقد اعتبر الغنوصيون عقائدهم . أقدم عقائد فى الوجود . وأن الغنوصية أقدم وحى أوحى الله به : فانتقل من طبقة غنوصية ، إلى طبقة أخرى ، ولا يكف انتقاله ، ولا ينتهى ، وهو يختلف عن غيره من العقائد الدينية ، بأن دائرته لا تتوقف أبداً ، وقد احتفظ به مجموعة من الكهان ، والسحرة ، وتناقـلوه ، معلنين أن بيدهم « مفاتيح الأسرار الإلهية » و « أسرار القدس الأعلى » ، وأن بالغنوص الخلاص الأبدى ، ذلك أنه الوحى المتجدد ، والفيض الذى ينبعث دائماً من الملأ الأعلى[٥] .

ويذكر الباحثون : أن الحركة الغنوصية ، حركة قديمة ، وهى مزيج من العقائد الفارسية الآرية ، ومن العقائد الكلدانية السامية ، مع غلبة الطابع الوثنى ، وقد ازدهرت فى القرنين : الثانى والثالث بعد الميلاد ، وقد زعم بعض أباء الكنيسة : أن النزعة الغنوصية وليدة تزواج بين المسيحية ، وبين حركات روحية أخرى . أبرزها اليونانية ، والإيرانية ، واليهودية . .

وذهب (أودلف فون هرنك) : إلى أن العنصر الأجنبى فيها عن المسيحية هو العنصر اليونانى ، ووصف الغنوصية بأنها : حركة تهلين حار للمسيحية[٦] ، وأيد ما ذهب إليه « أودلف فون هرنك » العلامة ف . بوست . فقال : إن الغنوصية ضرب من التفكير اليونانى الصوفى المعقل ، ذلك لأن طريقة التفكير ، والنظر ، والتركيب ، والتفكر ، والشكل الباطن ، والبنية الروحية للمذاهب الغنوصية . تبدو أنها يونانية ، ممزوجة جزئياً بعناصر شرقية[٧] .

ويقول ريتسنشتين : إن الغنوصية هى الاستمرار الضرورى للأديان

الشرقية من شتى المعمورة ، أو النقطة العليا لتطورها الفرداني العالمي معاً، وبمعنى ما ، هى المرحلة الأخيرة للهلينية .

ويؤكد ريتسنشتين انتشار هذه النزعة فى كل العالم الهليني. ذلك فى التيارات الداعية إلى الاتصال المباشر بالألوهية ، وفى طقوس أديان الأسرار ، وفى فكرة الناس الإلهيين[٨] .

وكل هذه الآراء تجعل من النزعة الغنوصية . مزيجاً غير أصيل من أفكار دينية ، متباينة الأصول ، مما يجعلها تبدو كمذهب تلفيقى يجمع بين الفلسفة أفكار والدين ، ويقوم أساساً على أساس فكرة الصدوز ومزج المعارف الإنسانية بعضها ببعض[٩] .

أما هـ . يوناس . وهو من تلاميذ « مارتن هيجر » فيقرر فى كتابه : « الغنوصية وروح أواخر العصر القديم »: أن الغنوصية ليست ثنوية إيرانية، ولا واحدية يونانية ، ولا مزيجاً من كليهما ، بل هى نزعة قائمة برأسها ، فيها يتجلى فهم جديد تماماً للعالم . ولمعرفة الإنسان لنفسه ، وهى نزعة إلى انتزاع الصفة الدنيوية عن العالم ، مما لا سالف له فى العالم القديم .

كذلك جاء كوسيل فى كتابه : « الغنوصية بوصفها ديناً عالمياً » فقرر: أن الغنوصية إسقاط اسطورى لتجربة الذات . وأنها إمكانية دينية للإنسان بجانب إمكانياته الدينية الأخرى[١٠] .

والدراسات والبحوث تفيد : أن الغنوصية كمذهب باطنى عرفانى ، جمعت بالتلفيق خليطاً يونانياً غربياً وإسرائيلياً ، وفارسياً شرقياً ، ثم مزجته مزجاً شديداً ، محكماً ، ولكن دون أن تستطيع إخفاء الملامح الأصلية لأصولها الثلاثة :

١ — الأفكار القبالية[١١] . الممثلة فى الديانة الشعبية الإسرائيلية، بما فيها من سرية التعاليم ،والرموز الخفية فى التوراة ، والقول بإله تصدر

عنه الأرواح المدبرة للمكون ، ورمزية الأعداد والحروف ، والحديث عن الإنسان باعتباره « العـــالم الأصغر » الذى جاء على صورة « العالم الأكبر »(١٢) .

٣ — الديانات والمذاهب الفارسية .كما تمثلت فى مانوية « مانى » فى القرن الثـالث الميلادى ، تلـك التى حاولت التوفيق بين المسيحية وبين الزرادشتية ، وقالت بثنائية النور والظلمة . إلهين للخير والشر . وكما تمثلت فى المزدكية إحدى فرق المانوية .

تلك هى أصول الغنوصية كمذهب تلفيقى. يجعل عقيدته أمراً أيضن بها على غير أهلها ، ويمزج الدين بالفلسفة ، بمعناها اليونانى المثالى ، ويعتمد فى تصوير الذات الإلهية على نظرية « الفيض والصدور(١٣) » الأمر الذى جعله مأوى للمعتقدات السرية والخفية »(١٤) .

وقد قامت الغنوصية بتخطيط عام للوجود ، وضعت على قمته : الله وجوداً معقولا ، مفارقاً للمادة ، غير مدرك على الاطلاق ،

ومن هذا الوجود صدرت « الأيونات »(١٥) متتابعة ، الواحدة بعد الأخرى ، فى نسق زوجى ، كل زوج مكون من ذكر وأنثى ... وكلما ابتعدت الأيونات عن الوجود الأول ، ازدادت كثافة ، وقلت مفارقتها للمادة . وأراد أيون من تلك الأيونات . أن يرتفع إلى الله بدون أن يطهر نفسه بالغنوص ، فطرد من مكانه ، فصدر عنه أيونات شريرة مثله

ومن هذه الأيونات صدر العالم المادى ومافيه من أجسام ... وليست النفوس — وهى مارة فى هذا العالم المادى — أجسام، فسجنها هذا الأيون الخاطىء وبقيت فى الأجسام . فى هذا الإنسان .. ولكن النفوس البشرية تحاول مرة أخرى الخلاص والصعود إلى عالمها الأول ، وهنا يحدث الصراع العارم بين قوى الخير وقوى الشر .

فمن كانت فيه طبيعة الغنوص عاد إليها ربانيا ، ومن تغلبت فيه طبيعة المادة ، لم يرتفع عن عالمه الأدنى ، ومن تساوت فيه الطبيعتان حدث الصراع ، وقد يتغلب الخير ، وقد يتغلب الشر .

ولكن إذا كان الله خيراً محضا ، ووجودا مفارقاً غير مادى فكيف صدر عنه شر محض ، ووجود غير مفارق مادى ؟؟

لقد حل حكماء الفرس القدامى المشكلة ، وذلك بايجاب أصلين للوجود أو بمعنى آخر : إلهين للوجود . إله خير هو النور . وإله شرير هو الظلام وتلاقحت المذاهب ، وأصبحت الثنائية بين الله والمادية عنوانا على الغنوصية[١٦]

وأصبح من خصائص العرفانية « الغنوصية » الإيمان بالثنوية : والاعتقاد بأن الإله يتجسد فى البشر ، ثم يهبط إلى الأرض لتخليص البشر من شرور الحياة .. ويمكن أن نذكر بعض المعانى الأساسية فى الغنوصية فيما يلى :

١ — من الأفكار الأساسية فى الغنوصية : الثنوية . أى القول بوجود مبدأين هما الروح والمادة . تجرى أحداث الكون حسب ما بينهما من نزاع وتعارض إن العالم يجرى حسب التعارض بين هذين العنصرين المؤلفين له ، ودرجة تغلب الوحد منهما على الآخر ، فإذا كانت الغلبة للمادة كان الشر هو الغالب ، وإذا كانت الغلبة للروح . كان الخير هو الغالب .

إن المادة من مملكة الظلام . وفيها نزعة طبيعية للعدوان ضد مبدأ النور . أما إذا كانت السيادة لمبدأ الروح فى عملية تطور العالم . فإن العملية الكونية يسودها الخير والنور . ونزعة الروح تعبر عن نفسها فى المادة فإن صدورات الروح تهدف إلى ملء الهوة ، بين الروح والمادة .

٢ — والفكرة الأساسية الثانية ، هي فكرة الصانع، لأنه لما كانت الروح والمادة هما المبدآن الأعليان ، فإن فكرة الخلق غير واردة في مذهب الغنوصيين ، ولهذا لايقولون بخلق العالم وهي فكرة نجدها عند أفلاطون ..

٣ — والفكرة الأساسية الثالثة . هي فكرة «العرفان»والعرفان لايتم بالفكر والتعلم ، بل يتم في الجماعة ، وبالجماعة عن طريق الطقوس ، والمراسم،والاحتفالات ، وماجرى مجرى هذا ... والغنوص « المعرفة . العرفان » ليس معرفة بالأحوال الخارجية ، بل الحقائق الناطقة خصوصا مايتعلق بالتمييز بين الخير والشر .

وغاية المعرفة جعل الإنسان إلاهاً ، واتحاد الإنسان بالله هو المعرفة أو العرفأن ، وإن معرفة الإنسان لنفسه هي البداية ، ومعرفته بالله هي نهاية الكمال . . والإنسان لايستطيع بنفسه أن يبلغ الدرجة العليا من المعرفة . لهذا لابد من قوة علوية ، هي التي تلهمه هذه المعرفة العليا . لهذا فإن كل الفرق الغنوصية تدعى أنها استودعت رسالة أووحياً سرياً أوحى به من السماء .

٤ — والفكرة الاساسية الرابعة هي فكرة الخلاص ، لانه نظراً للنزاع بين النور والظلمة في العالم : كان لابد للانسان من الخلاص . والخلاص هو النجاة من العالم المادي الظلماني الذي هو بطبعه شرير ، ويمتزج بهذه الفكرة فكرة اللياذ بعالم آخر ، يتحرر فيه الانسان من أغلال الظلمة والمادة .

لكن هذا الخلاص لن يتحقق إلا لعدد قليل من المختارين ، ومن الأرواح المصطفاه . وهؤلاء وحدهم القادرون على بلوغ العرفان « الغنوص » ولهذا فإن الغنوصيين الأوائل لم يعرفوا إلا بوجود طبقتين: طبقة الروحانيين، وطبقة الهيولانيين، ويسمون أيضاً نفسانيين .

وبعض المتأخرين منهم يميزون ثلاث طبقات: الروحانيون والنفسانيون والهيولانيون .

والطبقة الوسطى منها هي طبقة أولئك الذين لايمتلكون عرفانا ، بل علما . أما الروحانى فهو الغنوصى الحقيقى لأنه يمتلك العرفان « الغنوص » ، إنه يشاهد ويتلقى النور ، نور البهاء المعقول(٢)

وقد أثرت الغنوصية فى مذاهب مختلفة واستطاعت أن تنشر أفكارها ومبادئها فى كثير من العقائد والفلسفات والأديان ، وقد أثبتت الدراسات المختلفة : أن الغنوصية دخلت فى أعماق العقائد اليهودية .

ومن يتابع ماجاء فى كتاب « التلمود » يجد : أن الغنوصية استطاعت أن تمتد إلى التلمود وتسرى فى قضاياه وجزئياته وذلك من مجاورة اليهود للفارسيين ، وهم فى منفاهم فى « بابل » ، ثم اقتحم الغنوص يهود الاسكندرية ، ثم يهود فلسطين .

وكان هؤلاء اليهود الآخرين مجموعة من الأطباء الروحانيين الذين يمارسون السحر ، والكيمياء ، والطب ، وتبلورت الأفكار الغنوصية فى أعماق اليهودية فيما يطلق عليه اسم « القبالة » ، وكانت القبالة أكبر غنوص مسرى متحرك ، فى أرجاء العالم المعروف وقتئذ وقد كمنت فى كل مكان يعيش فيه اليهود تحاول أن تزحف على كل عقيدة ، وأن تسيطر على كل مجتمع مدعية أن بيدها الخلاص(١٨)

إن القبالة اليهودية فى جوهرها الغنوصى هى تشوف نحو معرفة العالم ، وأصله وغايته ولكن هذه المعرفة لاتتكون عن طريق الفكر والبحث بل بالتأمل والاشراف ولابد للتوصل إلى هذه المعرفة من سلوك قاس ، وتركز داخلى وانعكاس باطنى . ولذلك كان يفترض على المريدين لكى يصلوا إلى حدود التكريس ... مزاولة طقوس طويلة ومعقدة

وفرقة القبالة اليهودية هي التي شوهت التوراة وحرفتها عن طريق التأويل وهي طائفة الباطنية في الموسوية التي ادعت الجمع بين التأويل الباطني للتوراة ، وبين أساليب السحر ، والطلسمات ، وادعاء الكشف

وهذا الاتجاه التلفيقي كان واضحاً ، في مجتمعات الفلاسفة ، في اليونان والاسكندرية وهي التي كانت تعرف بجمعيات «أهل العرفان» والجمعيات الغنوصية[٢٠]

ولقد تنبه اليهود إلى المذاهب الفلسفية ، التي انتشرت في العالم القديم ، والتي زعزعت الروايات الدينية عندهم .. ولهذا حاولوا أمرين :

الأمر الأول : إقامة أدلة فلسفية على صحة الدين عموماً .

والأمر الثاني : تأويل الروايات الدينية بشكل لا يخالف الفلسفة .

وعلى هذا الأساس نشأ في اليهود الاسكندرانيين نفر اتجهوا هذا الاتجاه في التلفيق . ثم جاء (فيلون) اليهودي الاسكندراني ، فنظم آراء المتفلسفين من قومه ، ولكنه لم يستطع أن يخلص من شوائب التلفيق ، ولا أن يضمها في نظام واحد ، أو أن يستر ما فيها من التناقض[٢١] .

ويدور أكثر تفلسف (فيلون) حول شرح التوراة شرحاً رمزياً ، فحواء مثلا كناية عن الحس ، والحية كناية عن اللذة ، ويذهب إلى أن ينفي عن الله جميع الصفات التي وصفته بها التوراة ، والله في نظره لا يمكن أن يتصل بالعالم ، ولهذا خلق أولا الكلمة ، وهي في نظر فيلون : الإبن الأول لله : أما العالم فهو الإبن الثاني لله وبما أن الإنسان لا يستطيع أن يتصل بالله مباشرة ، فقد جعل الله الكلمة والملائكة : شفعاء للبشر في توسلهم إليه[٢٢]

ويسبب هذه الفلسفة ظهرت عند اليهود طائفة القبالة نسبة إلى «القبالة» وهي كتاب فيه التأويل الخفي للتوراة ، وأهم مسائله هي :

سرية التعاليم ، وإمكان فك رموز التوراة ، وكذلك رمزية الأعداد والحروف[٣٢].

ويقرر (فيدا) : أن القبالة هي الغنوصية اليهودية ، في أجلى مظاهر الغنوصية ، وقد زحفت الغنوصية على اليهودية ، قبل زحفها على المسيحية ، وسيطرت على كثير من عقائدها[٢٤] ، حتى أن فرقة الأسينيين اليهودية رفضت فكرة الإله العادل ، واستبدلت بها الحكمة الإلهية[٢٥] ، وأحد أحبار السامريين[٢٦] ، وأقدم يهودي بعد وفاة المسيح بقليل ، يعلن : أن الغنوص ليس المسيح فقط ، وإنما يظهر في كل مكان ، وإن الإله الأعلى أظهر نفسه للسامريين كأب في شخصه هو ، وأظهر نفسه لبقية اليهود في شخص المسيح ، وسيظهر نفسه في كثير من الأماكن ، كروح القدس ، وأن هذا الإظهار سيكون مستمراً ، مادامت الدنيا[٢٧] .

ومما يذكر : أن (فيلون) اليهودي الإسكندراني ، كان له أثر كبير في القديس يوحنا الإنجيلي ، كما كان له أثر في توجيه تلميذه (أوريجانوس) النصراني ، الذي كان أول من عمل على تفسير الإنجيل تفسيراً رمزياً ، سيراً على طريق (فيلون) والفلسفة الإفلاطونية الحديثة[٢٨] .

وتذكرت البحوث : أن المسيح أبرز صفات الغنوص ، والمسيحية نفسها دين غنوصي ، ولكنها تقصر الغنوص على المسيح وحده ، فالإتحاد المطلق بين العارف والمعروف ، سواء في العرفان ، أو في المادة ، إنما كان بين الله والمسيح فقط.

وبينما الغنوص يعلن : أن المعرفة قد يتذوقها تذوقاً كاملا — أو بالصورة التي تذوقها المسيح نفسه — كل من ألقى فيه الغنوص سر الكلمة ، بحيث يعود جوهراً ربانياً . تقتصر المسيحية «روح القدس» للمسيح «الكلمة» له[٢٩] .

ولقد ظهر فى القرن الثانى للميلاد ، ثلاثة من كبار الغنوصيين المسيحيين هم باسيليدس السورى ، وفالنتينوس المصرى ، ومرقيون ، وفكرتهم العامة أن هناك إلهين : إله العهد القديم ، وهو إله قاس ، جبار ، منتقم ، وإله العهد الجديد ، وهو إله طيب ، خير ، محب .

الإله الأول : رئيس الملائكة الأشرار ، والإله الثانى : رئيس الملائكة الأخيار .

الإله الأول : صانع العالم المحسوس ، والإله الثانى : صانع العالم المعقول ، وقرروا أن هذا هو الحل الوحيد لتفسير التعارض الكبير بين التوراة والإنجيل ، ثم تكلموا عن صدور الموجودات عن الإله ، حتى تنتهى إلى المادة ، وإلى الجسم الكثيف ، وكيف يتخلص الإنسان من هذا الجسم ، وكيف يعود إلى الإله الأعلى[٣٠] .

فالمذهب الغنوصى عاش قوياً ، وظهرت فى أثره مجموعة كبيرة من الطوائف الثانوية كانت أول هذه الطوائف « المرقونية » أصحاب مرقيون ويقرر ابن النديم : « أنهم — المرقونيون — طائفة من النصارى ، يؤمنون بالأصلين القديمين للوجود : النور والظلمة ، وأصل ثالث يمزج بينهما ، وهو هذا العالم أو الحياة[٣١] .

ويذكر العلماء : أن (باسيليدس) الذى عاش فى القرن الثانى بعد الميلاد فى مدينة الاسكندرية (مصر) جاء مذهبه — كما عرضه القديس أيرنيوس أن الأب القديم غير مخلوق ، قد ولد أولا : العقل « نوس » ، والنوس ولد اللوغوس ولد فرونسيس ، وفرونسيس ولد صوفيا ودوناميس ، ومن هذين الأخيرين ولدت السلسلة الأولى من الملائكة والقوى والملائكة ولدوا السماء الأولى ، ومن هذه صدرت السلسلة الملائكية الثانية الذين خلقوا السماء الثالثة ، وهكذا إلى أن وجدت ثلاثمائة خمسة وستون

سماء، والملائكة فى السماء الدنيا خلقت العالم الأرضى ، وتقاسموه فيما بينهم ، وكان زعيمهم هو إله اليهود ، الذى أثار البغضاء بمحاباته للشعب اليهودى .

وهكذا صارت سائر الامم أعداء للأمة اليهودية ، هناك تدخل الإله الأعلى لينقذ العالم من الدمار .. فأرسل ابنه الاول « النوس » : العقل أى المسيح لكى ينقذ من يؤمنون من ملائكة العالم ، فظهر النوس فى شكل إنسان ، وبشر بدعوته ، لكنه عند الصلب أتخذ شكل « سيمون » القوريناتى ، فالذى صلب هذا الاخير على شكل المسيح .. أما المسيح نفسه فكان واقفاً هناك يسخر من أعدائه ثم عاد إلى الأب[٣٢] .

وخلاصة مذهب « فالنتينوس »[٣٣] : أن الأيون الأعلى قد دفعه الحب إلى الإفاضة ، فصدرت عنـــه سلسلة من الايونات التى تؤلف « البليروما » ، فصدر النوس « العقل » والأليثيا « الحقيقة » ، ومن هذين صدر زوج آخر ، وهكذا على شكل أزواج ، وقد حاول التغلب على هذه الثنائية لكن عبثاً ، لأنها تقوم فى أساس الغنوصية نفسها[٣٤] .

وإذا كانت هناك إشارات موجزة — فيما سبق — عن أثر الغنوصية فى اليهودية والمسيحية ، فإنه يحسن أن نعرض لأثر الغنوصية وتغلغلها فى عقائد ومذاهب غير يهودية ولا مسيحية .

ولا يخفى أن هذه المعرفة مهمة جداً ، حيث تمكن من الوقوف على معرفة المساحة الزمانية والمكانية ، التى استطاعت الغنوصية ، أن تمتـــد إليها . .

وبما أن الإسلام انتشرت فى بلاد كثيرة ، وغطى مساحات كبيرة — كان أهلها يدينون بأديان سماوية ، ويعتقدون فى تيارات غنوصية ومذاهب مختلفة — فإن هذه المعرفة تقود إلى نتائج أفضل فى التعرف على الغنوصية وموقف الفكر الإسلامى منها .

وتذهب الدراسات إلى أن الغنوص ظهر فى الأديان الثنوية المتأخرة وقد نشأت هذه المذاهب نشأة غيرغنوصية ، ثم انتهت إلى غنوصية عنيفة. وقد جمعها العلماء المسلمون ، المؤرخون الملل والنحل تحت اسم « المجوس » وكانوا قد أحسو بما بينها من فروق ، فكانوا يذكرون أصحاب الاثنين والمانوية وغيرهما .

ومما يحسن أن نشير إليه : أن المجوس القدامى يختلفون عن الغنوصية الثنوية ، فالمجوس القدامى بدأوا من فكرة الخير والشر ، من مبحث خلقى ، ثم انتقلوا إلى تفسير الكون كله ، رأوا مظاهر التثنية فى كل شىء : فى الذكر والانثى ، والصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والروح والجسد والمادة والصورة ، ومن هذا اتجهوا إلى تفسير الكون ، ورده إلى عناصر كل واحد من هؤلاء ، فردوا الخير ، والذكر ، والصحة ، والقوة ، والروح إلى مبدأ أول ، والشر والانثى ، والمرض ، والضعف ، والجسد ، إلى مبدأ ثان : هو أقل من المبدأ الاول .

ولكن الغنوصية استطاعت أن تسيطر على المذهب الثنوى ، فظهرت الثنائية القديمة بين الله والمادة ، أى بين النور والظلمة ، واعتبر الإثنان قديمين ، يتساويان فى القدم ، ويختلفان فى الجوهر ، والطبع ، والفعل ، الحيز ، والمكان والأجناس ، والأبدان ، والأرواح[٣٥] .

— وأول مثال للغنوصية الثنائية هو « الديصانية »[٣٦] نسبة إلى مؤسسها « ديصان » و « ديصان » هذا آمن بالاصلين القديمين : النور والظلمة ، النور مختار أى يفعل باختياره ، والشر مطبوع يفعل الشر اضطراراً . والنور : عالم ، قادر ، حساس ، دراك . ومنه تكون الحركة ، والحياة .. والظلام جاهل ، عاجز ، جماد ، موات . لافعل له ، ولا تمييز ، والنور جنس واحد . والنور لاتمييز فى إدراكاته ، وحواسه متفقة ، فسمعه . وبصره ؛ وسائر حواسه ؛ شىء أوحد ؛ فسمعه هو بصره ؛ وبصره هو ذوقه[٣٧] .

- كذلك نجد الغنوصية الثنائية فى «المانوية»، والمانوية نسبة إلى مؤسسها «مانى بن فانك»[٣٨] وكان يقول: إن مبدأ العالم كونان: أحدهما: نور، والآخر: ظلمة. وكل منهما منفصل عن الآخر. فالنور هو العظيم الأول ليس بالعدد، وهو الإله الحق. وله صفات: العلم، والعقل، والغيب، والفطنة. والكون الثانى هو الظلمة، ولها عناصر: الضباب، والحريق، والسموم، والظلمة. والكونان متجاوران، ولو أنهما فى فعلهما وتدبيرهما متضادان[٣٩].

- ونجد أيضاً الغنوصية الثنائية فى «المزدكية» نسبة إلى «مزدك»[٤٠] وقد أرجع مزدك الأصلين القديمين إلى أصول ثلاثة: الماء، والنار، والأرض. اختلطت فحدث من اختلاطها على نسب متساوية: مدبر الخير. وعلى نسب غير متساوية مدبر الشر. والمادة الأولى: مادة الخير. مادة صافية. والمادة الثانية: مادة الشر. مادة كدرة[٤١].

وبعض العلماء الباحثين يعد فرقة «المندائية» من فرق الغنوصية، لأن هذه الفرقة تقول: فوق السموات، وفيما وراء ملكوت الكواكب، يوجد عالم النور، حيث تستقر الحياة - الواحد ملك النور المتسامى تحيط به الكائنات المقدسة - ومن هذا العالم. عالم النور. اشتقت روح آدم وأرواح أبنائه من المانداثيين. وفى أسفل مملكة الظلام فى أسفل سافلين... نزل المانداثيون إلى الأرض، وان يخلصهم إلا كائن إلهى ساعة الموت. يخلص الروح من البدن الكثيف، ويعيدها إلى عالم النور[٤٢].

وفى القرن الأول قبل الميلاد، وفى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد. نشاهد تياراً جديداً يغزو الفكر اليونانى. ويكاد يتميز تميزاً شديداً جداً عما قبله من تيارات الفلسفة اليونانية. وهذا التيار قد بلغ أوجه عند شخصية فلسفية هى شخصية «أفلوطين»[٤٣]. ولما كانت الغنوصية سائدة فى القرنين الثانى والثالث. خصوصاً بعد الميلاد، وبينها وبين الإفلاطونية

الحدثة كثير من التشابه . فقد اندفعت إلى الفلسفة الإفلاطونية الحدثة لتؤثر فيها[٤٤] . وتنطلق منها لنشر أفكارها .

وإذا ذهبنا إلى « الهرمسية »[٤٥] وجدنا أن الغنوصية تتعلق بها ، فتجعلها هرمسية غنوصية . وإذا كانت الهرمسية تقول : بإلهين اثنين أحدهما مسخر للآخر :

— الإله المتعالى الذى لا يصدق عليه وصف . ولا تدركه العقول ولا الأبصار ، وبالتالى فهو لا يعرف إلا بالسلب .

— الإله الخالق الصانع . وهو الذى خلق العالم . ولذلك فهو يتجلى فيه .

فإن الغنوصية الهرمسية تؤكد : ان الطريق إلى معرفة الله هو النفس ، لأنها جزء من الإله . إنها تستطيع معرفته حق المعرفة ، عندما تتمكن من الإتصال به . والعودة إليه .

وهذا الطريق . طريق معرفة الله بالنفس لا بالعقل . يقول به جميع الغنوصيين (العرفانيين) غير أن ما يميز غنوصية الهرمسية . هو تأكيدها على الأصل السماوى — الإلهى النفس — والنصوص الهرمسية تشرح ذلك من وجهين :

إما القول بأن النفس هى من أصل إلهى لكونها « بنت الله » . وإما القول بأنها عبارة عن مزيج ، من عناصره « شيء من الله نفسه »[٤٦] .

ويمكن أن يقال : إن هناك عدة فرق واعتقادات ، يطلق عليها اسم العرفانية أو الغنوصية . وكلها رغم التفاوت بينها ، تجمعها خصائص معينة ، تعم جميع هذه الفرق . وأهم هذه الخصائص : القول بتجسيد الإله ، والاعتقاد بالطقوس والأسرار ، وبالعدد سبعة ... باعتبار أنه يمثل آخر الفيوضات .

أما تجسيد الإله لجميع الفرق الغنوصية تؤمن بإله مخلص ، يهبط من السماء لتلخيص البشر من شرور الحياة ، ويسير على الطريق الذى سار فيه البشر ، ثم يموت وينهض من الموت .. وفى الفرق العرفانية كذلك عدد من الطقوس الشكلية فى الملابس ، والمطاعم ، والسلوك ، ويلحق بهذه الطقوس أسرار دينية ، ورموز ، دالة على معان مطوية عن غيرهم .

أما الاعتقاد بالعدد سبعة . فهـــم جميعاً يعتقدون أنه يمثل آخر الفيوضات أو القوى السبعة . والمتمثلة بالكواكب السبعة التى تدير العالم ، وتؤثر فيه . وهذه الفرق جميعها لها طقوس معينة للقبول بسلكها ، تسمى « الاجتباء » ، ومن أجل ذلك لا يباح بأمور العقيدة إلا للمجتبين الذين قبلهم رؤساء الفرق ، وصرحوا لهم بالأسرار ، بمقادير مختلفة[٤٧] .

إن الغنوصية تيار خفى ، يسعى إلى الفرق ، والمذاهب والمعتقدات ، ليتعلق بها . واستطاع هذا التيار أن يؤثر فى اليهودية والمسيحية ، وغيرهما .. وقد استطاع تيار الغنوصية أن يدخل الجزيرة العربية قبل الإسلام . وقد كان العرب مجاورين لأهل فارس ، وبينهم وبين أهل فارس صلات ومعاهدات . وفى ظل هذه الصلات والمعاهدات دخل الفكر الغنوصى الجزيرة العربية ، ويذكر الدكتور النشار : أن اليعقوبى قال : « وتزندق منهم — أى العرب — قوم فقالوا بالثنوية ، وقبيلة كنده قد تزندقت . وكان سيدها حجر بن عمرو الكندى ، شيخ قبيلة كندة . وملكها توفى عام ٤٥٠ ميلادية[٤٨] .

الغنوصية والاسلام

لقد عرفنا من خلال المذاهب والمعتقدات — التى عرضنا لها فى إيجاز دقيق — أن الغنوصية ، حركة تجرى وراء الفلسفات ، والعقائد ، والأديان ، لتنفذ منها ، وتتخذها مطية لتحقيق مسارها .

وعرفنا كذلك أن الغنوصية أثرت فى الأفلاطونية الحديثة . كما عرفنا أنها دخلت الجزيرة العربية قبل الإسلام ، واتصلت بأهلها .

ولهذا كان ظهور الإسلام ضرورة لإنقاذ الإنسانية ، من وهدة الضياع فى تلك المتاهات ، التى تعصف بالإنسان . ولولا هذه الضرورة ، ما اتصلت السماء بالأرض . برسالة جديدة . . هذا الإتصال الذى ختم ببعث الرسول محمد ﷺ بدين للناس جميعاً . وذلك حيث قضت الضرورة المطلقة بإرساله ليخرج العالم كله . مما كان يتخبط فيه . من باطل ، وضلال .

نعم كان العالم فى حاجة ملحة لدين جديد . بعد أن خفت صوت الرسل السابقين ، وضاعت معالم الرسالات الالهية ، التى أرسلها الله لعباده . لا فرق فى ذلك بين بلاد العرب إذ يوجد بيته المحرم . وبلاد الروم المهد الثانى للمسيحية ، وفارس إذ كانت المانوية ، والزرادشتية .. والمزدكية ، وغير هذه البلاد وتلك من أقطار العالم المختلفة(٤٩) .

لقد امتد الإسلام — بعد ظهوره فى الجزيرة العربية — فى مشارق الأرض ومغاربها ، وانتشر فى أقل فترة زمنية ، على أكبر مساحة مكانية ، مما سبب قلقاً للفرق الغنوصية ، وجمعياتها السرية .

ويمكن أن نعرض نقاط جوهرية ، تعتبر أمثلة . تكشف عن اتصالات

تمت بين المسلمين والغنوصية . والتعرف على هذه النقاط أمر ضروري حتى نتبين — فيما بعد — موقف الاسلام الفكري والعملي . إزاء هذه التيارات والجمعيات . ونستطيع أن نوجز الأمثلة فى النقاط التالية .

١ — ذكر اليعقوبي : أن قبائل كندة وفى الكوفة بالذات . كانت فى الاسلام غنوصية ، على أشد ما تكون الغنوصية(٥٠) .

٢ — وذكر المقريزي : أن أبا سفيان بن حرب ، اعتنق الزندقة — أى الايمان بالاثنين — على صورة عنيفة ، وكان فى الجاهلية زنديقاً . وحينما شهد حنيناً مع رسول الله ، ﷺ كانت الأزلام معه ، يستقسم بها ، وكان كهفاً للمنافقين ، وكان يتشفى فى المسلمين إذ كشفوا بعض الكشف يوم اليرموك .

ويظهر أبو سفيان عقيدته المتزندقة حين دخل على عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد صارت إليه الخلافة . فيقول : « صارت إليك بعد تيم وعدى . فأدرها كالكرة ، واجعل أوتادها بنى أمية . فإنما هو الملك ولا أدرى ما جنة ولا نار »(٥١) .

٣ — وفى مطلع الاسلام ، ظهر غنوصى عنيف ، هو مسيلمة المتنبى الكذاب ، وقد كشف عن عداوته للإسلام ، محاولا القضاء عليه ، فى مهده ، وبعد انتقال الرسول ﷺ ، إلى الرفيق الأعلى . ويذكر الجاحظ : أن مسيلمة طاف قبل التنبى بالأسواق ، التى كانت بين دور العجم والعراق . يلتقون للتسوق والبياعات . كنحو سوق الإبلة ، وسوق حكة الانبار ، وسوق الحيرة . يلتمس الحيل ، والبيرنجات ، وأخبار المنجمين والمتنبئين(٥٢) .

ويعلق الدكتور على سامى النشار على هذا النص الذى ذكره الجاحظ ، فيقول : من الواضح إذن أن مسيلمة ، قد تعلم الغنوصية هناك ، وعاد بها

إلى اليمامة ، وقد قاوم مسيلمة وأتباعه ، الإسلام مقاومة عنيفة . حتى قضى عليهم خالد بن الوليد . وقد وضع البيرونى مسيلمة فى نسق المتنبئين الغنوصيين[٥٣] .

٤ — ويذكر الدكتور النشار : أن الإسلام حين دخل بلاد فارس وجد الزرادشتية فى كل مكان . كما وجد بيوت نارها هنا وهناك . وقابل المانوية وغنوصها . وكان غنوص المانوية والمزدكية أخطر غنوص على الفكر الإسلامى .

٥ — ووجد المسلمون فى البلاد التى انتشر فيها الإسلام جمعيات غنوصية سرية ، وجدت منذ زمن بعيد . وحاولت نسخ الأديان الموحى بها من يهودية ، ومسيحية ، وإسلام . عن طريق ضرب بعضها ببعض . ثم ضربها جميعاً ببعض الآراء الفلسفية ، لفتح الطريق أمام ما يسمونه «الدين العالمى» . وهو فى ظنهم دين يقوم على الإشراق والكشف . وهو يرجع عند بعض هؤلاء إلى نوع أصيل من الإلحاد . لأنه يبدأ بخلع طابع القداسة على بعض أفراد البشر ، ثم يغلو فى تقديسهم ، حتى يسهل على العامة قبول فكرة حلول الله فيهم كما حدث فى المسيحية[٥٤] .

٦ — الأثر الفلسفى الأفلاطونى كان له أثر رئيسى فى الفكر الباطنى فى العالم الإسلامى . إلا أن للمؤثرات الباطنية الأخرى الموجودة عند من يسمون بالعرفانيين أثر لا يستهان به فى أفكار هذه الحركات الباطنية كالصابئة ، والثنوية ، والمانوية والديصانية ، والهرمسية . وغيرهم . والذين يمكن أن نعرفهم باسم الباطنيين القدماء ، لكثرة ما فى مذاهبهم من الإسرار ، والاعتقادات ، والرموز . وكذلك ينبغى أن نذكر أن هذه المذاهب نفسها ، كانت من قبل وليدة الفلسفات الشرقية القديمة القائمة على العلوم السرية ، وتنظيم الجمعيات السرية[٥٥] .

٧ — إن المؤتمرات والأفكار توضح لنا مصادر الفكر الباطنى

الرئيسية ، والتى أثرت بدورها على اليهودية ، والنصرانية . وانتقلت بعد ذلك إلى العالم الإسلامى . ويمكن القول بأن المذهب الإسكندرانى الذى انتشر فى الإسكندرية بين القرن الثالث قبل الميلاد ، والقرن الثالث بعد الميلاد ، وانبثقت عنه الفلسفة الإفلاطونية الحديثة ، والذى يقوم على خصائص معينة أهمها : الدقة فى التفكير ، والغموض فى المعانى ، والتعبير عن الحقائق بالرموز والإشارات . له أهمية رئيسية فى تاريخ الباطنية فى فى العالم الإسلامى(٥٦) .

٨ — كانت الغنوصية خطراً جسيماً ، على العالم الإسلامى ، سواء من الناحية الحربية ، أو من الناحية الفكرية . وقد وجهت الغنوصية ضربتها الحربية للاسلام والمسلمين فى بعض المواقع . وحارب (المقنع) جيوش المسلمين حرباً عنيفة حتى قتل(٥٧) .

وفى عهد المعتصم قام «بابك» الخرمى ، بضرب المسلمين أفظع الضربات وكاد أن يقضى على الدولة العباسية ، وقتل من المسلمين أعداداً هائلة ، وظل يحاربهم عشرين عاماً ، حتى جاء «الإفشين» قائد المعتصم فى عام ٢٢٠ هـ وقضى على جيوش «بابك»(٥٨) .

٩ — كان هناك عدد كبير من الغنوصيين ، عاشوا فى العالم الإسلامى وزاد عددهم زيادة كبرى وفى بعض الجهات . وقد اعتنق بعض حكام المسلمين المانوية وقام عدد كبير من الشعراء ، والكتاب ، بنشر المانوية ، والديصانية ، والمرقونية(٥٩) .

١٠ — نفذت المانوية وبشتى الطرق إلى العالم الإسلامى ، فى محاولة للانقضاض عليه ، وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية وتفريقها إلى عرب وفرس ، وكان أكبر ممثل لهذه الحركة العدائية عبد الله بن المقفع أكبر أعداء الإسلام على الإطلاق . والذى عمل على نشر العقائد المزدكية بشتى الوسائل(٦٠) .

١١ — روجت المانوية ، داخل المجتمع الإسلامى ، لعقيدة تتعارض تماماً مع الإسلام ديناً ودولة . لقد روجت لعقيدة تقول : بأن العالم نشأ من امتزاج للنور بالظلمة ، وهما معاً قديمان . وهذا يمس مساً جوهرياً مبدأين أساسيين فى العقيدة الإسلامية : وحدة الخالق من جهة ، والخلق من عدم ، من جهة ثانية . ومن ناحية أخرى ركزت المانوية على أن الخلاص — تخليص النور من الظلمة — انقاذ البشرية من الشرور والآلام . إنما يكون بالتطهير الذى طريقه الزهد فى الدنيا . وقمــع الشهوات ، وهدفه الإتصال بالله مباشرة وفى هذا إنكار للنبوة ، أو على الأقل استغناء عنها[٦١] .

١٢ — أثرت الغنوصية فى عدة طوائف باطنية ظهرت بالعالم الإسلامى وكان للافلاطونية الحديثة — غنوص — تتمثل فيه كل صفات المذاهب الغنوصية . وقد تلاقى هذا الغنوص مع غيره من غنوصات مختلفة[٦٢] .

ونستطيع أن نقول : أن مصادر الفكر الباطنى ، إنما هى أفكار دخيلة على عقائد الإسلام ، تستر أصحابها بها هادفين من ورآء ذلك هدم المجتمع الإسلامى ، بعقائد وأساطير حطمها الإسلام ، فلم يجدوا أمامهم إلا هذه الطرق ، التى تدل على الحقد الدفين فى قلوبهم ونفوسهم على هذا الدين وأهله .



مواجهه الإسلام للتيار الغنوصى

بداية يحسن أن نتأمل قوله تعالى . « وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون »[٦٤] .

والمتأمل فى هاتين الآيتين . يجد أن القرآن يتحدث عن أخطر منزلق تهوى به الكلمة ، ويتداعى الحرف فى هاويته السحيقة ، وهو التضليل ، والخداع ، والتمويه ، وقلب الحقائق ، وتشويه الحقيقة ، عن طريق تصنيع الكلمة ، وزخرفة القول ، والدخول إلى المخاطب من نقطة الضعف والاستغفال لإغرائه ، والإيقاع به ، والإيحاء له ، بسلامة الفكرة ، وصحة المفهوم المزيف ، الذى تحمله هذه الدعوات الهدامة .

ولكم تهاوت أمم وشعوب وأجيال ، وتساقطت فى هاويه الضلال والإنحراف والفساد الخلقى ، والعقدى ، والاجتماعى ، بسبب هذه المذاهب ، والتيارات الخداعة التى يرقص السذج والجهال على نغم إيقاعها ، ويفتنون بسماعها ، وأناقة ظاهرها .

ولكم عانى الإنسان ، من أولئك الشياطين ، صناع المذاهب الضالة ، المنحرفة التى قادت البشرية إلى هاوية الضلال ، والانحراف . فلقد كان للتيارات الغنوصية فى كل عصر دورها التخريبى فى حياة الإنسان .. لقد اتخذت الغنوصية . صيغة الفلسفة والنظرية ، والمبدأ . الذى يعتنقه الأتباع ويدافعون عنه . وينقادون له :

لذا كانت الإنسانية فى ظل الإسلام بحاجة إلى توعية موجهة مخططة تكشف لها زيف هذه المبادىء والنظريات ، وتعمق وعيها وحسها النقدى قبل الاستجابة والوقوع فى حبائلها .

ولكم كان القرآن دقيقاً وهو يحدثنا فى الآيتين السابقتين[٦٥] عن الترابط الدقيق المتقن عن « زخرف القول . . الإيحاء . . الاصغاء . . الاقتراف » ليؤكد أن كل تلك المعانى تشكل حقائق موضوعية مترابطة، ومتلازمة العلاقة .

والقرآن يربط هذا — كما ترى — بين هندسة الكلمة ، وبناء الفكرة ، والفلسفة ، التى يستعملها المضل . فيخدع بها الذين لا يملكون وعياً ، ولا عقيدة ولا مبدءاً سليما فى الحياة . يوحى إليهم بالرضا والقبول والاستسلام . ويخدعهم بهذه الصيغة البنائية المزخرفة ، للنظريات ، والأفكار ، والمبادىء . فيؤمن بها المخدوعون ، ثم يبنون سلوكهم ، وتفكيرهم، وكل أنشطة حياتهم ، على أساس هذه الأفكار والمبادىء التى خدعتهم ، وغررت بهم . .

لقد أدرك العباسيون خطورة التيارات الباطنية ، فتصدوا لمحاربتها بدون هوادة ، وكان المهدى أشد خلفاء الدولة العباسية حرباً عليها . يقول المسعودى : « وأمعن المهدى فى قتل الملحدين والمداهنين عن الدين، لظهورهم فى أيامه ، وإعلانهم باعتقاداتهم فى خلافته . لما انتشر من كتب مانى ، وابن ديصان ، ومرقيون ، مما نقله ابن المقفع وغيره ، وترجمت من الفارسية ، والفهلوية إلى العربية . . وكان المهدى أول من أمر أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب فى الرد على الملحدين ، فأقاموا البراهين على المعاندين ، وأوضحوا الحق للشاكين[٦٦] .

ويؤكد الدكتور النشار : أن المتكلمين الأوائل هم أول من قاوم الطوائف الغنوصية مقاومة عنيفة ، بل يكاد يكون السبب الحقيقى لقيام المتكلمين ، هو مناهضة الغنوص[٦٧] .

ويقول الغزالى فى تعريف علم الكلام ونشأته : « علم الكلام مقصوده

حفظ عقيدة أهل السنة ، وحراستها عن تشويش أهل البدعة ، فقد ألقى الله تعالى ، إلى عباده ، على لسان رسوله ، عقيـــدة هى الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والاخبار، ثم ألقى الشيطان فى وساوس المبتدعة أمورًا مخالفة ، فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها ، فأنشأ الله طائفة المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام وأهله »[٦٠]

وعلم الكلا يأخذ بمنهج البحث ، والنظر ، والاستدلال العقلى كوسيلة لإثبات العقائد الدينية ، التى ثبتت بالوحى ولهذا فهو يعرف أحياناً : بعلم النظر والاستدلال .. ووظيفة علم الكلام : إنما هى دفع الشبه ، ورد الخصوم ، والاحتجاج العقلى على صحة العقائد الإيمانية

ومن العلماء من يرى أن لعلم الكلام وظيفتين مزدوجتين ، هما :

أولا : إثبات العقائد الدينية بالأدلة العقلية .

ثانياً : دفع الشبه ورد الخصوم عنها[٦١] وكتاب مقالات الفرق الاسلامية . يرون : أن النظر العقلى فى العقائد الدينية بدأ فى الإسلام على أيدى المعتزلة وفى ذلك يقول طاش كبره زاده : « اعلم أن مبدأ شيوع الكلام كان على أيدى المعتزلة ، فى حدود المائة من الهجرة »[٧٠].

إذن بدأ النظر العقلى فى الدين بظهور المعتزلة وكان ذلك فى حوالى نهاية القرن الأولى الهجرى ، وبداية القرن الثانى . ومهما يكن من اختلاف فى سبب ظهور النظر العقلى فى العقائد فإنه كتيار فكرى ، ومنهج عقلى . كان لابد من ظهوره . وذلك لمجابهة التحديات الفكرية التى لاقاها الإسلام عندما امتد سلطانه إلى خارج الجزيرة العربية . وعندما اشتد الصراع الفكرى بينه وبين أصحاب الأديان الأخرى من يهود، ونصارى ومانويين ، وزرادشتيين ، وصابئة ، ودهريين[٧١]

لقد فتح الإسلام — كقوة سياسية — أرض الديانات القديمة ، وأثبت كيانه فيها . إلا أن الإسلام كتصور روحى خاص ، استمر يناضل فكرياً أهل الأديان والعقائد المختلفة لمدة طويلة اشتبك خلالها المخلصون من رجال المعتزلة فى حرب ضروس مع أصحاب الأهواء والبدع من الزنادقة ، والدهرية ، والمشبهة ، والحلولية ، مثلوا فيها معارضة فكرية قوية ، صانوا فيها البناء الروحى والفكرى للاسلام من خطر غزو تلك الآراء الغريبة التى أرادت أن تشوه صفاء العقيدة الإسلامية(٧٢) .

لقد كان المعتزلة « أيديولوجية الدولة » لقد كانوا يعملون على نشر وتكريس سلطة العقل . ولابد لكى يقدر المرء الدور الحاسم الذى قام به المعتزلة فى تحصين العقل وتطوير العقلانية الإسلامية من أن يستحضر فى ذهنه تلك المعارك الضارية التى خاضوها فى واجهتين مختلفتين .

فمن جهة تمكن المعتزلة من رد هجمات المانوية وتفنيد آرائها وإرغامهم على الإحتكام إلى العقل . الشيء الذى يعنى نفى الغنوص منذ اللحظة الأولى ومن جهة أخرى استطاع المعتزلة من خلال مشاداتهم الكلامية أن يحدثوا تطوراً مهماً وأساسياً داخل الفكر السنى ذاته . فكانت الماتريدية ، وكانت الأشعرية ، ليس هذا فحسب ، بل استطاع المعتزلة ، من خلال معركتهم المزدوجة هذه ، أن يستوعبوا جوانب من المعقول العقلى ، مما طعم الرؤى العقلانية ، وهيأها مع الأشاعرة ، خاصة بعد أن امتصوا منهج المعتزلة . للارتفاع إلى المستوى الذى مكن العقل الإسلامى من التعامل مع منطق أرسطو ، وتبنى قواعده الصورية(٧٣) .

وتقول المستشرقة الألمانية سوسنة فلزر : « ومما خدمت به المعتزلة دين الإسلام أنها جادلت الثنوية ، وردت مقالاتهم ، ووطأت لأهل السنة الطريق إلى إثبات عقيدتهم عند مجادلتهم للثنوية ولغيرها من الفرق»(٧٤) .

وفى إيجاز دقيق : قام المعتزلة بنقد العقائد الغنوصية ، وجعلوا لواء هذا

العمل ، وفى مقدمة هؤلاء : واصل بن عطاء .. وعمرو بن عبيـــد .. والعلاف .. والنظام . فقد أعد هؤلاء كتباً فى الرد على الملاحدة ، والزنادقة ، والدهرية ، والثنوية ، واشتركوا كذلك فى مجادلات ونقاش عقلى مع أصحاب هذه المذاهب . وكان واصل بن عطاء يرسل البعثات التبشيرية إلى أطراف الدول المترامية لمجادلة أهل الأديان المختلفة ، وتبديد الشكوك التى كانوا يثيرونها ضد الدين الإسلامى ، فناظر عمرو بن عبيد جرير بن حازم السمنى فى البصرة ، واشترك واصل بن عطاء ، فى مناظرة ، مع بشار بن برد ، وصالح بن عبد القدوس ، وكلاهما من الثنوية المعروفين وقام أيضا بجدالهم : الخياط .. والجاحظ .. والقاضى عبد الجبار الهمذانى فى كتابه « تثبيت دلائل النبوة » . ثم تولى الأشاعرة مهاجمتهم ، وخاصة فيلسوف المذهب الأشعرى أبو بكر الباقلانى ، فى كتابه « التمهيد » . ثم رد عليهم الغزالى فى كتابه « فضائح الباطنية » و « القسطاس المستقيم » ، ومحمد بن مالك ابن أبى الفضائل الحمادى اليمانى فى كتابه : « كشف أسرار القرامطة » ، ثم قام الشيعة الإمامية أيضاً بنقض الإتجاهات الغنوصية ، وخاصة الفارسية منها . وقد كانت هناك مناقشات بين الإمام جعفر الصادق وبين كثير من المانوية . ولهشام بن الحكم كتاب فى نقض الثنوية « الرد على أصحاب الاثنين »[٧٥] .

والحقيقة التى يحسن أن ندركها ، ونؤكد عليها : هى أن المسلمين الذين أبدعوا عقلانيتهم الإسلامية المتميزة « علم الكلام الإسلامى » الممثل لفلسفة الإسلام منذ النصف الثانى من القرن الهجرى الأول ، وقبل ترجمة اليونانيات هؤلاء المسلمون قد اتجهوا إلى ترجمة الفلسفة اليونانية ، وترجمة عقلانية أرسطو أولا وبالتحديد . لا ليتخذوا منها فلسفة لهم وللاسلام ، وإنما ليردوا بها — كسلاح يونانى — على الغنوصية التى هى تأثيرات يونانية مزجت بروحانية الشرقيين .. فأنصار الغنوصية كانوا أثراً يونانياً

فى الشرق ، وامتداداً شرقياً لفكرية اليونان فعمد العلماء المسلمون إلى ترجمة العقلانية اليونانية ليردوا بها على أنصار اليونان »(٧٦) .

لقد كانت الهلينية والغنوصية الباطنية هى الغزو الفكرى الذى أصاب به الغرب اليونانى الشرق ، منذ انتصار الإسكندر الأكبر (٣٥٦ — ٣٢٣ ق.م) وبنائه امبراطوريته الشرقية . ولقد غبشت هذه الهيلينية توحيد المسيحية الشرقية الأولى. فلما ظهر الاسلام خاضت ضدة المعارك فى البلاد التى فتحها المسلمون . لكن الاسلام بعد أن بلور عقلانيته المتميزة تقدم فاستعان بالعقلانية الأرسطية فى نضاله ضد الهيلينية والغنوص فكانت ترجمة الفلسفة اليونانية استعانة بحقيقة الفكر اليونانى(٧٧) .

يقول المستشرق الألمانى بكر «كارل هينرش» (١٨٧٦ — ١٩٣٩) : «إننا نرى كفاح المسيحية من أجل استقلالها، وتوكيد ذاتها بإزاء الروح اليونانية المجسدة فى «الغنوص» يتكرر من جديد فى الإسلام فى القرون الأولى ، تحت أسماء أخرى . فكما كانت المسيحية الأولى معادية للروح الهلينية . كان الإسلام فى الصدر الأول على العموم معاديا هو الآخر للروح الهلينية والميزة الرئيسية للقرآن أنه كان يؤثر تأثيرا مضادا للروح الهلينية فى عصر تغلغلت فيه الهلينية . وفى اللحظة التى تخطى فيها الإسلام حدود مهده الأول بدأ الصراع والتصادم .

إن المانوية والزرادشتية كانتا بالنسبة للإسلام عدوتين خطيرتين كالمسيحية . وأن غنوص المانوية ، والمذاهب الشبيهة بها كانت خطرة على الاسلام خطرا مباشرا . لذلك نرى أن أول مدرسة كلامية فى الاسلام ونعنى بها المعتزلة . قد استفادت بعضا من أصولها ، ومسائل بحثها ، عن طريق كفاحها ضد المانوية .

وفى كل هذه الالوان من الكفاح تكونت جبهة كفاح فريدة فى بابها . فالدولة والمذهب الدينى الرسمى يسيران هنا ، كما يسيران فى كل

مكان ، جنبا إلى جنب . وفى صف واحد ، لكنهما فى كفاحهما ضد الغنوص الذى لا يعرف لأحد بسلطان، يهيبان بالروح اليونانية الحقيقية « الفلسفة اليونانية» كى تساعدهما .

لقد كان الغنوص يحارب الاسلام دينيا وسياسيا ، وفى هذا النضال استعان الاسلام بالفلسفة اليونانية ، وعنى بإيجاد عالم من العلوم الدينية العقلية ... إذن يتحالف الاسلام مع التفكير اليونانى والفلسفة اليونانية ضد «الغنوص» الذى كان خليطا من المذاهب القائمة على النظر والمنطق، وعلى مذاهب الخلاص . . ومن هنا نستطيع أن نفسر حماسة الخليفة المأمون على ترجمة أكبر عدد ممكن من مؤلفات الفلاسفة اليونانيين إلى العربية .

وقد اعتاد الناس ، أن يفسروا هذا ، حتى الآن ، بإرجاعه إلى ميل المأمون ، إلى العلم وحبه له ، لكن إذا كانت الرغبة فى ترجمة كتب الأطباء القدماء ، قد نشأت عما اشتهرت به المدارس الطبية الكبرى ، من حاجة عملية إلى هذه الكتب فلعل ترجمة كتب أرسطو أن تكون قد نشأت بالضرورة عن حاجة عملية كذلك .

وإلا فإنه إذا كانت المسألة حماسة للعلم ، ورغبة خالصة فى تحصيله لحسب لكان « هوميروس» أو أصحاب المآسى من بين من ترجمت كتبهم أيضا . لكن الواقع هو أن الناس لم يحفلوا بها ، ولم يشعروا بحاجة ما إليها[٢٨].

فترجمة الفلسفة اليونانية، والاهتمام بعقلانية أرسطو خاصة إنما كان استعانة بالعقلانية اليونانية الصريحة لمواجهة الغنوصية، ومنهجها الذوقى للمعارف الربانية .

حاولت « الغنوصية» أن تنال من العقائد الاسلامية ، وأن تصرف

الناس إلى عقائدها ، فكان أن تصدى التيار العقلاني الإسلامي لمذاهبها ، ومقولاتها ، ونظرياتها بعلم الكلام الإسلامي ، واتجه المدافعون عن الإسلام كذلك إلى ترجمة الفلسفة العقلية اليونانية ، ليردوا بها على النزعة الغنوصية بكل اتجاهاتها .

فكان الاتجاه الأكبر بعقلانية أرسطو سبيلا لمواجهة خطر الغنوصية ثم اتجهت حركة الترجمة الإسلامية إلى ترجمة افلاطون (٤٢٧ — ٣٤٧ ق.م) لما لتدينه من أثر في تدين العقلانية الأوسطية . كي لا تفضى العقلانية الأرسطية الخالصة إلى الإخـــلال بالتوازن لحساب النزعة المادية والإلحادية)[٧٩] .

ولعل النتيجة التى يخرج بها الباحث تصل بنا إلى :

١ — أن التيارات الغنوصية من أخطر التيارات على المسلمين ، وهى تتحين الفرص المناسبة ، لتندس بين أفكار مختلفة .

٢ — إن وراء هذه التيارات أيدى خبيثة تسيرها نحو أهداف وغايات تعمل على تشويه الإسلام فى نفوس أهله .

٣ — المواجهة الصحيحة لهذه المذهب تكون بالعقلية الإسلامية ، والمناهج الكلامية والفكر الإسلامى .

٤ — إن عزة الأمة ومنعتها وازدهارها الحضارى لم تتحقق إلا بعطاء عقلها ، وابداع عقلانيتها .

هوامش وحواشي

(١) راجع الدكتور علي سامي النشار ، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام جـ ١ ، ص ١٨٦ دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ١٩٧٧م .

(٢) أنظر الدكتور عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة جـ ٢ ص ٨٦ ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .

(٣) الدكتور عمر فروخ ، الفكر العربي في منهاج البكالوريا اللبنانية ص ٦ ط دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٨٦ هـ . ١٩٦٦ م .

(٤) الدكتور عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة جـ ٢ ص ٨٦ ، ٨٧

(٥) الدكتور علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ ١ ص ١٨٦

(٦) تهلين أي إعطاء صبغة هلينية يونانية .

(٨) الدكتور عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة جـ ٢ ص ٨٦

(٨) المصدر السابق جـ ٢ ص ٨٦ بتصرف وتقديم وتأخير .

(٩) مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي ، ص ١٣٣ ط الهيئة للعامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .

(١٠) الدكتور عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة جـ ٢ ص ٨٦

(١١) القبالية مشتقة من القبالة وتطلق على التأويل الخفي للتوراة . أنظر : الدكتور جميل صليبيا المعجم الفلسفي جـ ٢ ص ١٤٠ ط دار الكتاب اللبناني .

(١٢) قال الشاعر :

وتزعم أنك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

(١٣) ظهرت نظرية الفيض عن أفلاطين ومن بعده ويمكن تلخيص النظرية بخصائصها العامة فيما يلى : « صدور العالم عن الله أزلا بمعنى أن العالم قديم بالزمان حادث بالذات . والله واجب الوجود بذاته، والعالم ممكن الوجود بذاته ولكنه لأنه متصل وجودا وعدما بالله ، فهو واجب الوجود بغيره ، وهذا الدور مباشر وغير مباشر، فلأن الله لا يتغير وعلمه وفعله شيء واحد ولا يصدر عن الواحد مباشرة إلا واحد . فقد فاض عنه أزلا وأولا أولية مرتبية وبالذات : العقل الأول. وعن هذا صدر عقل ثان وجسم فلك وصورته نفسه . وذلك لثنائيته لأنه ممكن بذاته . وواجب بغيره ، وتفكيره بكل وبالله ينتج عنه شيئان ، عقل ثان وفلك بصورته وجسمه « الفيض هنا ثنائى» أو عقل ثان ونفس وفلك « الفيض هنا ثلاثى » ويستمر الأمر هكذا حتى تصل إلى العقل العاشر فيصدر عنه هيولى جميع الموجودات السفلية والبذور أو الصور أو النفوس والطبائع والخصائص المميزة لأشخاص وأجناس وأنواع الإنسان والحيوان والنبات والجماد » أنظر الدكتور حسام الألوسى ، دراسات فى الفكر الفلسفى الإسلامى ص ١١٦ ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م . أنظر كذلك الدكتور حسام الألوسى ، دراسات نقدية لنظرية الفيض الفارابية . مجلة المورد المجلد السابع عدد ٢ ص ١٥٧ ، بغداد ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م .

(١٤) انظر الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ط الازهر...

(١٥) الأيونات تشخصات الروح هى نماذج ومثل العالم اللامتناهى

فى صور مشخصة . أنظر الدكتور عبد الرحمن بدوى ، موسوعة الفلسفة جـ ٢ صـ ٨٨ ،.

(١٦) الدكتور على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، جـ ١ صـ ١٨٧

(١٧) الدكتور عبد الرحمن بدوى ، موسوعة الفلسفة ، جـ ٢ صـ ٨٨

(١٨) الدكتور على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، جـ ١ صـ ١٨٧

(١٩) الدكتور محمود قاسم ، دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، صـ ٢٥٦ ط دار المعارف بمصر ١٩٧٣ م .

(٢٠) الدكتور محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى صـ ٢١ ، ٢٢ ط مكتبة الأقصى ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م الأردن ، وراجع كذلك المستشرق جولد تسيهر العقيدة والشريعة فى الإسلام . ترجمة الدكتور محمد يوسف مرسى، والدكتور على حسن عبد القادر، والدكتور عبد العزيز عبد الحق . ط دار الكتب الحديثة بمصر .

(٢١) أنظر الدكتور محمد أحمد الخطيب ، الحركات الباطنية فى العالم صـ ٣١، وأنظر كذلك الدكتور عمر فروخ، تاريخ الفكر العربى صـ ١٣٠

(٢٢) المصدر السابق صـ ٣١

(٢٣) المصدر السابق صـ ٣١

(٢٤) الدكتور على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، جـ ١ صـ ١٨٧

(٢٥) الدكتور شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، جـ ١ صـ ١٢٥٨ ط بيروت .

(٢٦) السامريون قوم يسكنون جبال القدس ، ويقال إنهم بالعبرية

«كوتيم» وهم ليسو من بنى إسرائيل البتة . وإنما هم قوم قدموا من بلاد المشرق وسكنوا بلاد الشام وتهودوا . وانظر الشهرستانى الملل والنحل ج ١ ص ٢٦٠ تحقيق أمير على مهنا وعلى حسن فاعور ط . دار المعرفة بيروت ١٤١٣ ﻫ — ١٩٩٢ م .

(٢٧) الدكتور على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، ج ١ ص ١٨٨

٢٨ — المعلم بطرس البستانى ، دائرة المعارف ، ج ٤ ص ٦٣٩ ط ، مؤسسة مطبوعاتى ، طهران :

٢٩ — الدكتور على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج ١ ص ١٨٨

٣٠ — المصدر السابق ، ج ١ ص ١٨٨ ، وانظر كذلك روزنتال ويودين الموسوعة الفلسفية ص ٣٢١ ط ، دار الطليعة بيروت .

٣١ — ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٤٨ ط . بيروت .

٣٢ — الدكتور عبد الرحمن بدوى ، موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٨٨

٣٣ — مانيئوس ولد فى إحدى مدن الساحل الشمالى من مصر ، وتعلم فى الاسكندرية ، فى بداية القرن الثانى بعد الميلاد ، وبعد أن أشتغل بالتعليم فى الإسكندرية رحل إلى روما حيث عاش فى عهد أسقفية : (هوجينوس) و (أنيكتوس) ١٢٧ — ١٦٦ ميلادية وله مؤلفات عديدة ، ضاعت كلها فيما عدا شذرات قليلة واردة فى الردود عليه ، وتتضمن هذه المؤلفات : أناشيد دينية ، وخطباً وعظية . ورسائل ، وكتابا يسمى «صوفيا» ، «انظر د . عبد الرحمن بدوى ، موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٨٩» .

٣٤ — الدكتور عبد الرحمن بدوى ، موسوعة الفلسفة ج ٢ ص ٨٩ بتصرف .

٣٥ — الدكتور على سامى النشار ، نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام ج ١ ص ١٩٣

٣٦ — ديصان ظهر بعد « مرقيون » بثلاثين عاماً ، وآمن ديصان بالأصلين القديمين : النور ، والظلمة ، وانقسمت الديصانية إلى فرقتين : فرقة تقول : إن النور خالط الظلمة باختيار منه ، لكى يصلحها ويعيدها نوراً ، وفرقة تقول : إن الظلام إحتال ، حتى تشبث بالنور من أسفل صفحته ، فاجتهد النور حتى يتخلص منه ، فاعتمد عليه ، فلجج فيه بغير إختياره ، ولذلك فإنه يحتاج إلى زمان لكى يتمكن من التخلص منه « ابن النديم الفهرست ص ٢٨٨ » .

٣٧ — الدكتور على سامى النشار، نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام ج ١ ص ١٩٤

٣٨ — مانى بن فاتك الحكيم ، ظهر فى زمان سابور بن أردشير ، وقتله بهرام ابن هرفز بن سابور ، وذلك بعد عيسى بن مريم عليه السلام، أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : بنبوة عيسى عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام « الشهرستانى الملل والنحل ج ١ ص ٢٩٠ » .

٣٩ — الدكتور على سامى النشار، نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام ج ١ ص ١٩٥

٤٠ — مزدك ظهر فى أيام « قباذ » والد انو شروان ، ودعا قباذ إلى مذهبه فأجابه ، واطلع أنو شروان على خزيه وافترائه، فطلبه ، فوجده ، فقتله « الشهرستانى ، الملل والنحل ج ١ ص ٢٩٤ » .

٤١ — الدكتور على سامى النشار، نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام، ج ١ ص ١٩٧

٤٢ — المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٩٧ ، ١٩٨

٤٣ — أفلوطين ، ولد بمصر ، فى مدينة (ليقوبوليس) وكان ميلاده فى أرجح الأقوال سنة ٢٠٤ أو سنة ٢٠٥ بعد الميلاد ، ويبدو أنه بدأ دراسة الفلسفة ، فى سن متقدمة ، ورحل إلى الشرق ، واتجه إلى الغرب ، وذهب إلى روما ، « الدكتور عبد الرحمن بدوى ، خريف الفكر اليونانى ص ١٢٠ ، ١٢١ ط ، دار القلم ، بيروت ١٩٧٩ » .

٤٤ — الدكتور عبد الرحمن بدوى ، خريف الفكر اليونانى ، ص ١٠٩ — ١٢٢ ط ، دار القلم بيروت ١٩٧٩م .

٤٥ — الهرمسية ، نسبة إلى « هرمس » المثلث الحكمة ، أو المثلث بالنبوة ، والحكمة ، والملك ، أو العظيم ثلاث مرات ، وهرمس فى الأصل اسم لأحد آلهة اليونان ، أما الهرمسية كعلوم وفلسفة دينية ، فترجع إلى مجموعة من الكتب والرسائل تنسب إلى هرمس المثلث بالحكمة ، الناطق باسم الإله ، « الدكتور محمد عابد الجابرى ، تكوين العقل العربى » ص ١٧٤ — ١٧٥ » .

٤٦ — الدكتور محمد عابد الجابرى ، تكوين العقل العربى ص ١٧٦ — ١٧٧

٤٧ — الدكتور محمد أحمد الخطيب ، الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى ص ٤٤

٤٨ — الدكتور على سامى النشار ، نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام جـ ١ ص ١٥٨

٤٩ — الدكتور أحمد السايح ، هذا هو الإسلام ص ٤٠ ، ١ ط ، دار الثقافة الدوحة . قطر ١٩٨٩م .

٥٠ — الدكتور على سامى النشار. نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام جـ ١ ص ١٩٨

٥١ — المقريزى . النزاع والتخاصم . ص ٢٩ ط . بيروت .

٥٢ — الجاحظ : الحيوان . جـ ٤ ص ٣٦٩ . أنظر الدكتور النشار . مرجع سابق . جـ ١ ص ١٩٩

٥٣ — الدكتور على سامى النشار ، نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام جـ ٢ ص ١٩٩ .

٥٤ — الدكتور محمود قاسم ، دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

٥٥ — الدكتور محمد أحمد الخطيب ، الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى ، ص ٣٧ .

٥٦ — المصدر السابق ، ص ٣٧ .

٥٧ — الدكتور على سامى النشار . نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام جـ ١ ص ٢٠٧ .

٥٨ — انظر الدكتور على سامى النشار ، وسعاد على عبد الرازق ، التفكير الفلسفى فى الإسلام ، شخصيات ومذاهب ، ص ٥٠ .

٥٩ — انظر الدكتور على سامى النشار ، وسعاد على عبد الرازق ، التفكير الفلسفى فى الإسلام مذاهب وشخصيات ، ص ٤٩ .

٦٠ — المصدر السابق ، ص ٤٩ .

٦١ — انظر الدكتور محمد عابد الجابرى ، تكوين العقل العربى ، ص ٤٩

٦٢ — انظر الدكتور محمد أحمد الخطيب ، الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى ، ص ٤٤ .

٦٣ — المصدر السابق ، ص ٤٥ .

٦٤ — سورة الأنعام ، الآية رقم ١١٢ ، ١١٣

٦٥ — سورة الأنعام ، الآية رقم ١١٢ ، ١١٣

٦٦ — المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٨ ص ٢٩٣ ط بيروت .

٦٧ — الدكتور على سامى النشار . نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلامى جـ١ ص ٢١٠

٦٨ — الغزالى ، المنقذ من الضلال ، ص ٨٧ — ٨٩ ط دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٨٥م .

٦٩ — الدكتور عرفان عبد الحميد ، دراسات فى الفرق والعقائد الإسلامية ، ص ١٣٥ ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٧٠ — طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ومصباح دار السيادة ، الجزء الثانى ، ص ٣٧ ط ، بيروت .

٧١ — الدكتور عرفان عبد الحميد ، دراسات فى الفرق والعقائد الإسلامية ص ١٤٤

٧٢ — المصدر السابق ص ١٤٤ ، ١٤٥

٧٣ — الدكتور محمد عابد الجابرى ، تكوين العقل العربى ، ص ١٥١

وانظر كذلك الدكتور محمد عمارة ، تيارات الفكر الإسلامى . ص ٦٧ — ٦٩ ط دار المستقبل العربى ، القاهرة ١٩٨٣م .

٧٤ — انظر الدكتور عرفان عبد الحميد . دراسات فى الفرق والعقائد الإسلامية . ص ١٢٦

٧٥ — الدكتور على سامى النشار . نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام جـ١ ص ٢٠١ ؛ ٢١١

وانظر الدكتور عرفان عبد الحميد . دراسات فى الفرق والعقائد الاسلامية . ص ١٢٧

٧٦ — الدكتور محمد عمارة . الغزو الفكرى وهم أم حقيقة. ص٢١٣

٧٧ — المصدر السابق . ص ٣١٤

٧٨ — د . عبد الرحمن بدوى. التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٧ — ٩ — ١١ مجموعة مقالات مترجمة عن الألمانية والايطالية . ط القاهرة ١٩٦٥م .

٧٩ — الدكتور محمد عمارة . الغزو الفكرى وهم أم حقيقة . ص ٢٣١

المصادر والمراجع

١ ــ أبو الحسن على بن الحسين المسعودى ، مروج الذهب ، ط . دار الشعب بالقاهرة .

٢ ــ أبو الحسن على الأشعرى ، مقالات الإسلاميين، مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٨٩ هـ .

٣ ــ أبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، الملل والنحل ، ط . دار المعرفة ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م ، بيروت .

٤ ــ أبو حامد الغزالى ، فضائح الباطنية ، ط . مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .

٥ ــ ابن النديم ، الفهرست ، ط . بيروت .

٦ ــ الدكتور أحمد السايح ، هذا هو الإسلام، ط . دار الثقافة ، الدوحة ، ١٩٨٩ م .

٧ ــ أحمد عطية ، القاموس الإسلامى ، ط . مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦م .

٨ ــ أحمد القرمانى ، أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، ط . عالم الكتب بيروت .

٩ ــ المعلم بطرس البستانى ، دائرة المعرف ، مؤسسة مطبوعاتى ، طهران .

١٠ ــ الدكتور حسام الألوسى ، بواكير الفلسفة قبل طاليس، جامعة الكويت ١٩٧٣م .

١١ — الدكتور حسام الألوسى ، دراسات فى الفكر الفلسفى ، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٤٠٠هـ—١٩٨٠

١٢ — الجاحظ ، الحيوان ، ط بيروت .

١٣ — جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة فى الإسلام ، الترجمة العربية ط . دار الكتب الحديثة بمصر .

١٤ — الدكتور جميل صليبيا ، المعجم الفلسفى ، ط دار الكتاب اللبنانى ١٩٨١ م

١٥ — جوزيف كابر ، حكمة الأديان الحية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٤ م

١٦ — سعد القمى ، المقالات والفرق ط مؤسسة مطبوعات ، طهران .

١٧ — الدكتور شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ط بيروت .

١٨ — طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، ط القاهرة .

١٩ — الدكتور عبد الرحمن بدوى ، موسوعة الفلسفة ، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

٢٠ — الدكتور عبد الرحمن بدوى ، خريف الفكر اليونانى ، ط . دار القلم بيروت ١٩٧٩ م

٢١ — الدكتور عبد الرحمن بدوى ، التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ، ط القاهرة ١٩٦٥ م

٢٢ — الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مذاهب الإسلاميين ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٣ م

٢٣ — القاضى عبد الجبار ، تثبيت دلائل النبوة ، ط بيروت ١٩٦٦ م

٢٤ — الدكتور عبد الله سلوم السامرائي : الغلو والفرق الغالية، ط، دار واسط للنشر ، لندن بغداد ١٩٨٢ م

٢٥ — الدكتور عرفان عبد الحميد ، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٤ — ١٩٨٤ م

٢٦ — الدكتور علي سامي النشار ، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ط دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م

٢٧ — علي بن أحمد بن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ط دار المعرفة بيروت .

٢٨ — الدكتور علي سامي النشار ، وسعاد علي عبد الرازق ، التفكير الفلسفي في الإسلام ، مذاهب وشخصيات ط دار الكتب الجامعية ، بمصر ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م

٢٦ — الدكتور عمر فروخ ، الفكر العربي ط دار العلم للملايين ١٣٨٦هـ —١٩٦٦م بيروت .

٣٠ — فروخ عمر ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٨٢هـ—١٩٧٢ م

٣١ — مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي ط الهيئة العامة للكتاب . مصر .

٣٢ — الشيخ محمد أبو زهرة ، المذاهب الإسلامية ، ط دار الفكر العربي ، بيروت .

٣٣ — الدكتور محمد إبراهيم الفيومي ، في الفكر الديني الجاهلي ، ط دار العلم ، الكويت ١٤٠٠هـ—١٩٨٠ م

٣٤ — الدكتور محمد أحمد الخطيب ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ط دار الأقصى ، الأردن ١٤٠٤—١٩٤٨ م

٣٥ — محمد عبد المنعم الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الأقطار ط مكتبة لبنان ١٩٧٥

٣٦ — الدكتور محمد عبدالجابرى ، تكوين العقل العربى ط دار الطليعة بيروت ١٩٨٤ م

٣٧ — الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة ط الأزهر ١٠٨٨ م

٣٨ — الدكتور محمد عمارة ، تيارات الفكر الإسلامى ط دار المستقبل العربى بيروت ١٨٨٣م

٣٩ — الدكتور محمود قاسم ، دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، ط دار المعارف بمصر ١٩٧٣

٤٠ — ميرسيا الياد ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية . ٣أجزاء ، ترجمة عبد الهادى عباس ط دار دمشق . دمشق ١٩٨٦م — ١٩٨٧م

٤١ — السير وليم وود ثورب تارن ، الحضارة الهللينستية ، ترجمة عبد العزيز توفيق ط الانجلو المصرية ١٩٦٦ م

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الغنوصية	٧
الغنوصية والإسلام	٢٣
مواجهة الإسلام للتيار الغنوصى	٢٩
نتائج	٣٦
الهوامش والحواشى	٣٧
المصادر والمراجع	٤٦

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٩٩٣/٧٤١١ م
I, S . B: N. - 977 - 00 - 5887 - 5
٢٨ من صفر ١٤١٤ هـ — ١٦ من أغسطس ١٩٩٣ م